

وأن يكسبها خصائص قومية محلية . ففدا عمله الادبي عينيا مطلقا يضرب جذوره في الواقع الحاضر ويتطوع الى الافق الانساني البعيد .

تتألف مسرحية توفيق فياض القصيرة من فصلين ، وهي مونولوج ، اذ تدور حول شخصية واحدة هي سامي مدرس الادب والتاريخ . ولعل عنوان المسرحية يحمل دلالة كبيرة . فالجنون موضوع ذو أهمية خاصة في تاريخ الحضارة الانسانية ، وجد التعبير عن نفسه منذ الحضارات البدائية حيث كان للكهان والاطباء المشعوذين الذين ادعوا القدرة على الاتصال بالقوى الغيبية أهمية خاصة وكانوا يسمون بالمجانين . كذلك أعلى الاغريق من أهمية الجنون فعده افلاطون في كتابه **فيدراس** هبة من السماء فكان جنونا الهيا . كما عرف التراث العربي عددا كبيرا من المجانين حتى تجسدت هذه الصورة في أسطورة مجنون ليلى الذي أصبح فيما بعد — في الادبين العربي والفارسي — رمزا للمتصوف الذي يبحر بروحه الى دنيا الله وتغنى ذاته الصغرى في الذات الكلية الكبرى ، ويخلق لاوعيه عوالم خارقة يرفضها المنطق . وظلت صورة المجنون تتكرر في حضارات مختلفة وعصور متباينة حتى وجدت التعبير الامثل عن ذاتها في العصر الحديث في الحركة السريالية التي ظهرت في فرنسا بعد الحرب العالمية الاولى . فقد رأى السرياليون ان المجانين — وهم المنحرفون عن الحقيقة الخارجية — يعرفون عن الحقيقة الداخلية أكثر مما يعرف العاقلون ، وهم يستطيعون ان يكشفوا للعالمين حقائق لا يمكن النفاذ اليها بدونهم . وجعل السرياليون للجنون اعيادا فاحتفلوا عام ١٩٢٨ باليوبيل الذهبي للهستيريا .

كانت مسرحية توفيق فياض بيتا للجنون لان الشخصية الوحيدة فيها ، سامي ، يعيش وحيدا في ظل كابوس مرعب ، لذلك فهو يحاول ان يهرب من عالم الواقع الفاسد الى عالم ما فوق الواقع الذي يبنيه لاوعيه . ويتحول تداعي الكلام تداعيسا حرا الى هذيان يجسد مأساة سامي فيعانق الماضي والحاضر والمستقبل . وتفوق رؤياه نماذج أصلية مختزنة في أعماق لاوعيه فنخرج أساطير كررها الانسان في كل مكان عبر العصور . من هنا كانت هذه المسرحية اقرب ما تكون الى القصيدة : فالشعر — كما يقول اليوت — يميل نحو الدراما والدراما تميل نحو الشعر .

تعبّر **بيت الجنون** — من حيث البناء والرمز — عن أسطورة الموت والانبعاث ، وهي الاسطورة الاساسية في تاريخ الحضارة الانسانية . فقد ظهرت في الديانات الوثنية في المناطق المحيطة بشرقي البحر المتوسط ، فكانت شخصيات تموز وأدونيس وأوزيريس وآتيس صورا مختلفة للاله الميت المنبعث . كما لعب اورفيوس عند الاغريق — بهبوطه الى العالم السفلي وصعوده ثانية — الدور ذاته الذي لعبه اله الخصب الميت المنبعث . وقد أكدت المسيحية أهمية نموذج الموت والانبعاث فجسدت حقيقة انسانية مطلقة هي توفيق الانسان الى اكتساب الحياة الابدية وأعطت قيامة المسيح املا بالانبعاث لكل انسان .

ولعل الاله الذكر لا يلعب الدور الاساسي في أسطورة الموت والانبعاث ، فتغفو الالهة الانثى ، أمه ، حجر الزاوية في البناء الاسطوري ، وتكون في الوقت نفسه عروسا له . ويكون العشق محورا ترتكز اليه الاسطورة : فيتصل الاله الذكر بالام العروس ويخصبها فيتم فعل الخليفة وتخضر الحياة في العرق الذابل . وتظل المرأة الرمز المحوري في الصور الحضارية المختلفة : فتلعب العذراء مريم ام المسيح دورا أساسيا في الدين المسيحي ، ويتخذ المتصوف المسلم صورة المرأة رمزا لله ، ويفني جسده في التوفيق اليها ، لتتوهج روحه وتسمو اليها وتغنى ذاته في ذاتها . فكانت ليلى صاحبة قيس بن الملوح ، ولبنى